سلسلة: علماء الإسلام وملحمتهم التقويمية عبر التاريخ

مقدمات نحو صياغة أنموذج منظوري إرشادي إسلامي عام في الفقه والعلوم

(9) صناعة الفقه: المقاصد الشرعية والسياسية عند علال الفاسي

الحلقة الثالثة

2) البعد السياسي في حياة علال الفاسي

بدأ إرهاص الاشتغال ب الهم السياسي مبكراً لدى **محمد علال الفاسي**. فبيته مسيس من خلال انتماء والده إلى **الحزب العزيزي** { نسبة إلى الحزب الموالي للسلطان المولى عبد العزيز (1894 – 1908 م) بدل أخيه المولى عبد الحفيظ (1908 – 1912 م) }.

ثم كان لتدرج علال ب المدارس الحرة، التي لم ينشئها أصحابها سوى لدرء مخاطر آثار الاستعمار على الناشئة، تدريباً عملياً في حد ذاته على السياسة، بما كان يبثه في روعهم معلموهم المشبعين والمشربين بالهم السياسي حتى النخاع في تلك الفترة الحرجة من تاريخ المغرب.

لذلك لن نستغرب إن وجدناه يتزعم حركة الدفاع عن ماء مدينة فاس سنة 1345 هـ/1926 م[1] وعمره لما يناهز بعد السادسة عشرة!، ولا حين أعاد الكرة مرة أخرى، بعد أربع سنوات فقط منخرطاً في مقاومة الظهير البربري الذي سنته السياسة الاستعمارية الفرنسية في يوم 17 ذي الحجة سنة 1348 هـ/16 مايو 1930 م بهدف:

تفكيك مكونات النسيج المجتمعي المغربي على صعيد الدين، والثقافة، واللغة، والحضارة، والمجتمع، من خلال فصله عن هويته، وإحداث قطيعة معرفية بينه وبين مرجعيته، وغسل ذاكرته، وإلحاقه بالمرجعية الفرنسية النقيضة لمرجعيته وهويته[2].

قلت:

---

[1] وقد كتب عن الحادث استعماري مشهور وهو روجي لوتورنو في:

LE TOURNEAU Roger, Documents sur une contestation relative à la répartition de l'eau dans la Médina de Fès, **Paris, G.P. Maisonneuve, 1950.**

[2] *أنظر كتبنا: "(11) صناعة الفقه: المجتمع والأنموذج الحداثي الغربي، تقييم نقدي"، و"الأسطورة وصناعة الأمم الأوروبية في التاريخ: فرنسا نموذجاً"، و"الأقليات الإسلامية في الغرب: الجذور التاريخية، الوضع الحاضر، التطلعات المستقبلية".*

ولفهم موقف علال الفاسي وجيله، كنخبة مغربية فتية صاعدة، من هذه الهجمة الصليبية الجديدة، فلا بد من استعراض كل الأبعاد التي اتخذتها هذه السياسة على صعيد المؤسسات المدنية والعسكرية الفرنسية كتنظير وممارسة، وردة فعل المغاربة عليها كتحدي حضاري يجب رفعه وهزيمته.

2.1) فرنسا والإسلام: عسر الفهم والهضم والتصور والإدراك

خضعت السياسات الاستعمارية الفرنسية، تجاه الأقطار المغاربية الثلاث: المغرب، وتونس، والجزائر، من حيث المبدأ، إلى هواجس استتباعية واحدة، وإن اختلفت طرق التطبيق.

فقد احتلت فرنسا الجزائر عنوة سنة 1830 م وألحقت إدارة شؤونها ب وزارة الداخلية الفرنسية.

ثم جاء دخولها إلى تونس سنة 1881، والمغرب سنة 1912، بعقود حماية، مخالفة من الوجهة القانونية لما حصل مع الجزائر، حيث نص عقد الحماية المبرم مع كل منهما:

أن تحتفظ الدولة المحمية، بحكمهما المحلي الذاتي، في إطار سيادة، ارتآها المستعمر ان تكون اسمية ومؤقتة أكثر منها فعلية ودائمة، وكخطوة أولى بطريق التوليف والاستتباع، تتلوها، بحسب ما تسمح به الظروف الداخلية والدولية، مرحلة لاحقة تنتقل فيها الدولتان من وضعيتهما كمحميتين، إلى وضع إلحاقي نهائي شبيه بوضع الجزائر.

ولأجل هذا الفارق النوعي في نمطي الاحتلالين، فقد أسند مؤقتاً، تسيير شؤون هذين البلدين إلى وزارة الخارجية الفرنسية، وليس إلى وزارة الداخلية. وانعكست بالتالي رؤى الوزارتين، وبيروقراطييها على السياسات المتبعة في كل من البلدان الثلاثة، زيادة على ما ظل يتميز به كل قطر على حدة، من خصوصيات لا يمكن تعميمها إلى سائر الأقطار.

وبسبب من هذه الخلفية التاريخية، لم يحصل قط، أن توحدت الأقطار الثلاثة كفضاء جغرافي موحد، ولا أن حكمت فرنسا كل الأقطار بسياسة واحدة.

وظل الإرتباك والارتجال سيدا الموقف في هذا المجال، حتى أنه عندما حاولت "فدرالية عصبة علماء الشمال الإفريقي" (*La Fédération des sociétés savantes de l'Afrique du nord*) نقحرة اسم موحد لمثل هذا التجمع، باسم: "التوما" (*Altuma*)[3]، انتقده الجميع، لعدم دلالته اللغوية، ولعدم واقعيته على الأرض فهجر استعماله.

قلت:

وبحكم أن المسلمين لم يكن لهم وجود بداخل التراب الفرنسي، يوم فرض نابليون بونبارت (Napoléon Bonaparte[1]) (1769 – 1821) قانونه التشريعي على الفرنسيين، بعد رجوعه من حملته الفاشلة على مصر سنة 1798 م، فلم يظهر هاجس لدى المشرع الفرنسي لإدراج الإسلام كدين، ما فعل مع المسيحية واليهودية.

ولم تكن بالتالي ل فرنسا سياسة عامة تجاه الإسلام، سوى ما ورثته من تصورات وتخيلات وانطباعات، من تلك التي كانت تروج لها الكنيسة ومحاكم التفتيش في القرون الوسيطة الأوروبية، بهدف إبعاد الأوروبيين عنه بالتنفير منه، من أمثال تلك الأساطير التي كانوا ينسجونها حول هزيمة المسلمين على جبال البرانس الإسبانية ويرددونها أغنية في قصيدة "رولان" (*La chanson de Roland*) التي يقول فيها:

---

[3] منقحر من الحرفين الأولين لاسم كل قطر باللغة الفرنسية: (ال= Al) للجزائر، (تو = Tu) لتونس، و(ما = Ma) للمغرب.

إن فرسان شارلمان قد أسقطوا الأصنام!! الإسلامية، فالعرب يعبدون ثلاثياً مؤلفاً من: محمد، وأبولون، وتيرافاجان!!

{أنظر على موقعنا بالقسم الفرنسي: "***La Bataille de***

Poitiers dans l'imaginaire des français" ; Rencontre du premier degré avec une imposture}

وقد كرر مثل هـذا الهـراء الـسمج كـل مـن: فولتير (François Marie Arouet, dit **(Voltaire,**

(1787 – 1649) ، وبليز باسكال **(Blaise Pascal) (1662 - 1623)**

، ومالبرانش **(Nicolas Malebranche) (1638 - 1715)**

..وغيرهم، ممن يـدعون العقلانية!

والتنوير

، وحظهم منهمـا هـذه الأسطورة الكاريكاتورية العجائبية السمجة والضحلة، عن الإسلام، والمسلمين ورسولهم.

ولم يغير من هذا الواقع من قطمير، كون نابليون قد احتك بالمسلمين وعلماء الأزهر، أثناء حملته الفاشلة على مصر، من خلال الديوان الأهلي، الذي كان قد أقامه بالقاهرة، كواسطة بينـه وبين الأهالي، لتسيير الشؤون المدنية التي لها تعلق بمعايش سكان القاهرة، ولا أنـه دافع عن الرسول ﷺ، مفنداً لمزاعم العنصري فولتير[4]، ولا كونه اقتبس حوالي 90 % مـن قوانينـه مـن "مختصر الشيخ خليل" {أنظر على موقعنا: "مشاريع الإصلاح الديني بالمغرب: ما نقل نابليون عن

[4] أنظر كتابنا: "الأقليات الإسلامية في الغرب: الجذور التاريخية، الوضع الحاضر، التطلعات المستقبلية".

الشيخ خليل" ، كما يذهب إلى ذلك أحد المختصين فـــي الدراســـات القانونيـــة المقارنة.

يقول علال الفاسي في هذا الصدد[5]:

وكان لاتصال الطلاب الغربيين بالمدارس الإسلامية في الأندلس أثر كبير في نقل مجموعة من الأحكام الفقهية والتشريعية إلى لغاتهم. ولم تكن أوروبا في ذلك الحين على نظام متقن ولا قوانين عادلة، حتى إذا كان عهد نابليون في مصر ترجم أشهر كتب الفقه المالكي إلى اللغة الفرنسية. ومن أوائل هذه الكتب "كتاب خليل" الذي كان نواة القانون المدني الفرنسي وقد جاء متشابها إلى حد كبير مع الفقه المالكي.

يقول سيديو (*Sédillot*[6]):

والمذهب المالكي هو الذي سيستوقف نظرنا على الخصوص، لما لنا من الصلات بعرب إفريقيا. وعهدت الحكومة الفرنسية إلى الدكتور بيرون في أن يترجم إلى الفرنسية "كتاب المختصر" في الفقه ل خليل بن إسحاق بن يعقوب المتوفي سنة 1422 م.

ويضيف علال[7]:

إن الجهل والتعصب هما اللذان يجعلان كثيراً من رجال القانون الأجانب يتجاهلون قيمة الشريعة الإسلامية وأثرها حتى في قوانين البلاد المسيحية واللائيكية، والأمثلة على هذا التجاهل كثيرة. ولننظر مثلا منها في القانون الفرنسي.

فمؤرخو هذا القانون لا يذكرون أبداً أثر الفقه الإسلامي في أوضاعه الأولى، مع أن التاريخ يدل على أن مذهب الإمام مالك، بصفة خاصة، كان من أهم المصادر التي استقى منها القانون الفرنسي في عصره الأول، وحتى في عصره الأخير. (...)

ويضيف في مكان آخر[8]

---

[5] أنظر علال الفاسي: "تاريخ التشريع الإسلامي" ص. 53، سلسلة كتاب العلم، مطبعة الرسالة، الرباط. 1990 م.

[6] *Sédillot (Louis-Pierre-Eugène Amélie) (1808 - 1875) dans son « Histoire des Arabes » (1854).*

[7] نفس المرجع السابق، ص. 54.

[8] نفس المرجع السابق، ص. 55.

الحقيقة أن الذي يدرس القانون الفرنسي ومذهب الإمام مالك دراسة مقارنة يجد أن الفقهين يتفقان في تسعين في المائة (90%) من الأحكام، وقد وضع الأستاذ (سيد عبد الله حسين)[9] من علماء الأزهر وخريج الحقوق الفرنسية كتاباً تحت عنوان: "المقارنات التشريعية" في ثلاثة أسفار[10] أثبت فيها عن طريق المقابلة الفعلية بين الفقهين التوافق الغالب فيهما، بل استمد القانون الفرنسي من المذهب المالكي في تسعة أعشاره.

قلت:

وظلت فرنسا مع ذلك، تفتقد إلى سياسة في التعامل مع المسلمين ضمن عالمانيتها الغريبة الأطوار! {أنظر على هذا الموقع: " فتوى اقتناء السكن الربوي : الدهرية الدنيوية العَالمَانية والأخلاق"

}.

ولم تستطع قط، وإلى اليوم، وهذه أقل مفارقاتها!، أن تحسم أمرها في التعامل، لا مع الإسلام ولا مع المسلمين، حيث اكتشفَتْ من خلال الاحتكاك بهم أنهم يختلفون جذرياً في تصورهم للدين، وللمجتمع وللسياسة عن اليهود أو النصارى، كما يختلفون مع التصورات الفرنسية العالمانية العامة في العشر (1/10)، الذي يختلف فيها التشريع الفرنسي مع مختصر خليل!.

وإلى سنة 1911، أي سنة واحدة قبل احتلال المغرب وإلحاقه بالمستعمرات الفرنسية بالشمال الإفريقي، لم يزدد فهم الرسميين الفرنسيين للإسلام من قطمير، بل واكتشف برلمانيوهم بدورهم هذا الفراغ السياسي الفظيع في مقاربة فرنسا للإسلام.

---

[9] هو سيد عبد الله علي حسين، والعنوان الكامل: " المقارنات التشريعية بين القوانين الوضعية المدنية والتشريع الإسلامي :مقارنة بين فقه القانون الفرنسي ومذهب الإمام مالك (4 مجلدات)" ، بتحقيق علي جمعة محمد ومحمد احمد سراج

[10] هو أربعة أسفار الآن في طبعته الثانية التي طبعتها "دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع" سنة 2006 م. وتوجد نبذة مفصلة عن الكتاب على هذا الرابط: { http://www.dar-alsalam.com/arauthers_detail.asp?cd=60419&idx=0 }

وبعد نقاش طويل وأخذ ورد اهتدوا أخيراً إلى إنشاء "اللجنة البين-وزارية[11] للشؤون الإسلامية" (*La Commission Interministerielle des affaire musulmanes*)، كهيئة استشارية مرتبطة بوزارة الخارجية، بدون صلاحيات في اقتراح السياسات، أو التأثير على القرارات المتخذة من طرف الوزارات الوصية، أو ذوات العلاقة مع هذه السياسات!.

وظل الوضع على هذه الحال، إلى أن صدر مرسوم رئاسي[12] موقع من طرف رئيس الجمهورية ألبير لوبرون (*Albert Lebrun*) (1871 – 1950)

سنة 1935، بتأسيس "اللجنة العليا للبحر الأبيض المتوسط وشمال إفريقيا"، التي كان من اختصاصاتها، الاضطلاع والبث في كل الأمور المشتركة بين الأقطار المغاربية الثلاثة ودول الشرق الأدنى الخاضعة لفرنسا (سوريا ولبنان)، وبين هذه جميعاً وبين وفرنسا، وبين بعضها البعض.

وكان من اقتراحات هذه اللجنة[13]:

1) إعادة تنظيم مراقبة كل المواطنين في شمال إفريقيا، وكل المحرضين منهم المتواجدين على التراب الفرنسي، وكذلك الطلبة المسجلين منهم في الجامعات الفرنسية،
2) التضييق على الصحفيين في الجزائر وعلى النقابيين بتونس،
3) طرد المحرضين الخارجيين من شمال إفريقيا، ونفي المحرضين التونسيين إلى المستعمرات الفرنسية،
4) العمل على تطبيق القانون الجنائي بحزم لمنع الإجرام السياسي، وتجريد من يحمل الجنسية الفرنسية من أصحاب الأصول الشمال الإفريقية منها إن ثبت أن لهم أنشطة معادية لفرنسا[14].

قلت:

---

[11] *بين-وزارية: أي متعلقة بعدة وزارات.*

[12] *صدر هذا المرسوم على خلفية ما كان قد أثاره صدور "الظهير البربري" في المغرب في 16 مايو 1930، وما أحدثه من ردة فعل واحتجاج على الحكومة الفرنسية من طرف العالم الإسلامي كله واتهامها بشن حرب صليبية على المغاربة، والتي لم تتوقف إلا في 8 أبريل سنة 1934، بعد صدور ظهير يلغي العمل بالظهير السابق.*

[13] *وجاءت هذه الاقتراحات على إثر توحد المشاعر الإسلامية في كل أرجاء العالم الإسلامي، ضد السياسة الفرنسية المنتهجة في المغرب بسن "الظهير البربري" الذي رأى فيه المواطنون حرباً صليبية مكشوفة.*

[14] *أنظر: وليام هويزينتون جون في: "فرنسا والإسلام" في:*

Hoisington,W., A., J., 1993: "France and Islam: The Haut Comité Méditérranéen and French North Africa" in: "North Africa: Nation, State, and Religion" Edited by George Joffé, p. 80, Routledge, London.

وهي اقتراحات تنم عن حقد أصحابها وعنصريتهم أكثر من أي شيء آخر[15].

ثم جاءت حكومة اليهودي الاشتراكي ليون بلوم (*Léon Blum*) (1872 – 1950) (من 4 يونيو 1936 – 12 يونيو 1937) وأعطى لهذه اللجنة، متنفساً جديداً، بتأسيس "لجنة البحوث". وهي لجنة مكونة من أحد عشر عضواً، ملحقة باللجنة العليا، كصندوق أفكار لها.

واختار بلوم أن يولي على رئاستها المؤرخ الاشتراكي البروتستانتي شارل أندري جوليان (1891 – 1991) .

وضمت "لجنة البحوث" بين عضويتها، بعض أساطين التفكير الاستشراقي الفرنسي الذين سيطبعون بطابعهم الخاص المنظور الفرنسي المتأكدم في تصور الإسلام والمسلمين أمثال:

أ) لوي ماسينيون (*Louis Massignon*) (1883 – 1962) الجاسوس الفرنسي القديم في الشرق، وغريم الجاسوس البريطاني توماس إدوارد لورانس (1888 – 1935 م) الشهير بلقب لورانس العرب [16]، إبان احتلال الشام في عشرينات القرن العشرين، بحسب أوفاق معاهدة: "سايس-بيكو" بين

---

[15] *قارن هذه الإجراءات بما يحدث للمواطنين المسلمين ولمؤسساتهم في الولايات المتحدة الأمريكية بعد أحداث 11 سبتمبر سنة 2001، التي أدت إلى تفجير مركز التجارة العالمي بنيويورك، والقوانين الاستثنائية التي صدرت في التضييق على المتجنسين المسلمين، وسجنهم بدون تهمة ولأجل غير محدود، وعدم تمكينهم من الدفاع عن أنفسهم، وتعرضهم للطرد من البلد والتجريد من الجنسية عشوائياً، وبدون أدنى حماية قانونية، ومداهمة البيوت والمؤسسات والاستيلاء على وثائقها دون مبرر،...إلخ. تدرك أن شيئاً ما، لا يشتغل كما يجب في عقول هؤلاء السياسيين الديماغوجيين!، وبأن الحقوق، والحريات، والديمقراطية،.. وما شابه من الشعارات، شعارات جوفاء، لعدم أخلاقيات أصحابها!.*

[16] *صاحب كتاب: "أعمدة الحكمة السبعة".*

فرنسا وبريطانيا، والذي تحول الآن إلى مستشرق يدرس ب الكوليج ده فرانس،

{أنظر على موقعنا: "أين كانت القرويين يوم أن نودي على الرهبان البندكتان لإصلاحها: ماسينيون

على خطى القديس بولص في الكذب البواح"}[17]

ب) والضابط البحري الذي تحول هاوياً في السياسة الاجتماعية روبير مونتني

(*Robert Montagne*) (1893 – 1954) مدير المعهد الفرنسي ب

دمشق[18]،

ت) وروني هوفهر (*René Hoffherr*) (1893 – 1966) مدير "مركز الأبحاث

القانونية التابع لمعهد الدراسات العليا" بالرباط[19]، وغير هؤلاء.

فكان أن تمخض الفيل فولد فأراً!.

ذلك أن الجنرال شارل نوغيس (Auguste Paul *Charles* Albert *Noguès*) [20] (1876 - 1971) (يرى هنا يتوسط الصورة في استقبال رسمي بالمغرب)

---

[17] له من الكتب الجاسوسية المتدثرة بعلم الاجتماع:
MASSIGNON, *Enquête sur les corporations musulmanes d'artisans et de commerçants au Maroc* (1925).

[18] له مؤلفات اجتماعية عدة من شاكلة:

1) MONTAGNE, Robert, *Un magasin collectif de l'Anti-Atlas : l'agadir des Ikounka*. éditions Larose, Paris, 1930.
2) MONTAGNE, Robert, *Les Berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc*, Paris, Félix Alcan, 1930.
3) MONTAGNE, Robert, *La vie sociale et politique des Berbères*, Paris, 1931.

[19] وله من المؤلفات حول المغرب:

1) L'économie marocaine, Recueil Sirey 1932, p. 339.
2) Revenus et niveaux de vie indigènes au Maroc, avec ROGER MORIS. Paris: Librairie du Recueil Sirey, 1934. Pp. 244.
3) Coopération économique franco-africaine, Paris : Sirey, 1958, 173p.

[20] سيتولى إبان الحرب العالمية الثانية الرئاسة العامة للقوات الفرنسية بإفريقيا للفترة 1939 – 1043.

الذي عينه ليون بلوم مقيماً عاماً في المغرب سنة 1936، سيقمع بشدة تجمعات الوطنيين ويضيق عليهم الخناق، ملقياً بزعمائهم في غياهب السجون إثر أحداث شهر نوفمبر سنة 1936، إلا ليعيد الكرة في شهر مارس سنة 1937 بقسوة أكبر، ليحظى علال الفاسي هذه المرة، بعقوبة مثالية على قدر حجمه، وقدر دعوته الإسلامية، كما اقترحت اللجنة العليا

سنة 1935، وهي النفي خارج الوطن إلى الغابون .

وكان هذا أوج أفق بلغته السياسة الفرنسية في فهم الإسلام والمسلمين في مستعمراتها.

لكن، كيف بدأت قصة فرنسا مع الإسلام؟

2.1.1) الصليبية كوشم للذاكرة الفرنسية عبر التاريخ

سعت الإقامة العامة الفرنسية من خلال سنها للظهير البربري، إلى تطبيق أحد بنود سياستها العقدية الإلحاقية، التي كانت تتلخص خطوطها العريضة، كما نظر لها مؤدلجوها العقديون من خلال البعثات الاستكشافية المتدثرة بجلباب: "العلمية" التي اشتغل بها طاقم كبير من الجواسيس الميدانيين الجماعين للمعطيات: الجغرافية، والإناسية، والاجتماعية، واللغوية، التي أشرف عليها روني باسي *(René Basset)* من "كلية الآداب" بالجامعة الجزائرية، التي تأسست سنة 1879، *قبل تأسيس* " البعثة العلمية!!!!المغربية" (la Mission scientifique au Maroc) *سنة 1904، بوصاية من* الكوليج ده فرانس *(Collège de France)*، *الذي خصص كرسياً لدراسة علم الاجتماع الإسلامي، وأسنده إلى* ألفريد لو شاتولييه *(Alfred Le Chatelier).*

وقد اشتهر من بين هؤلاء:

أ) الجاسوس شارل ده فوكو (Charles de Foucault) (1858- 1916)،

ب) وأوغوستان برنار (Augustin **Joseph** Bernard) (1865 – 1947)، المؤرخ والجغرافي في آن[21].

ت) وإدمون دوتي (Edmond Doutté) (1867 – 1926)[22].

ث) روني باسي (René Basset) (1855 – 1924)[23]، المتخصص في اللهجات البربرية،

ج) أوغست موليرا (Auguste Mouliéras)، الراهب والإناسي الفرنسي (1855 - ؟؟)، الذي جاب الجزائر المغرب لعقدين من سنة 1872 إلى سنة 1893[24].

---

[21] من مؤلفاته:

1) *Les Confins algéro-marocains* (1911),
2) *Le Maroc* (1913),
3) *Enquête sur l'habitation rurale des indigènes de l'Algérie faite par ordre de M. le Gouverneur général* (1921)
4) *Enquête sur l'habitation rurale des indigènes de la Tunisie faite par ordre de M. Lucien Saint* (1924).
5) وكتب م. لارنود يصفه كجغرافي صالون يقول في:

M. Larnaude, « Emile-Félix Gautier et Augustin Bernard », in : COLLECTIF, *Les géographes français*, Editions du C.T.H.S., Paris, 1975, pp. 107-118 (cit. p. 109).

Augustin Bernard est un exemple typique de cette géographie de cabinet. Après avoir enseigné la géographie à l'Ecole supérieure des Lettres d'Alger, il occupe la chaire de géographie et de colonisation de l'Afrique du Nord, créée pour lui à la Sorbonne en 1902. A partir de ce moment, il n'a pas d'autre champ d'étude que l'Afrique du Nord. « De Paris il continua à suivre attentivement tout ce qui se passait de l'autre côté de la Méditerranée. Il accomplit en Algérie et au Maroc de nombreuses missions au cours desquelles ses enquêtes étaient mises à jour »

[22] له من المؤلفات:

1) LES MARABOUTS MAGHRIBINS, 1900,
2) MAGIE & RELIGION DANS L'AFRIQUE DU NORD, 1909.

[23] له من المؤلفات:

1) **Magie & religion dans l'Afrique du Nord, ed. Adrien Maisonneuve (1984),**
2) ***L'Islam algérien an l'an 1900, Alger-Mustapha, Giralt 1900, 181 pp*.**
3) ***RC - 1905 n° 01 / Renseignements coloniaux et Documents publiés par le Comité de l'Afrique française et le Comité du Maroc - 1905 – 01, Quatrième voyage d'études au Maroc d'Edmond Doutte / Le cours moyen de l'Oued Draa, etc.., Comité de l'Afrique Française. (Supplément au Bulletin du Comité de l'Afrique française de Janvier 1905) - Paris - 1905 / 36 p.***
4) ***La Société musulmane du Magrib. Magie et Religion dans l'Afrique du Nord. Alger, Adolphe Jourdan, 1908,***
5) **L'organisation militaire au Maroc; les concessions Mannesmann, etc., 1909.**
6) ***LA RELIGION DE BERBÈRES., 1910,***
7) **Missions au Maroc. En tribu. *Geuthner 1914*, 441 pp.**

[24] له من المؤلفات:

ح) ووليام مارسي (William Marçais)(1872 – 1956) المتخصص في الفقهلغويات الإسلامية، من عربية، وبربرية، وتركية، وفارسية،

خ) وإدوار ميشو – بللير (Edouard Michaux-Bellaire) (1857 - 1930) عالم الآثار الفرنسي[25]، الذي سيتولى رئاسة " البعثة العلمية!!!المغربية" سنة 1907، وهو الرأس المفكر للسياسة الاستعمارية المبضعة للمغاربة في تقابلات ضدية من شاكلة: المسلمين/غير المسلمين، العرب/البربر، أهل السفوح والمدن/أهل الجبال، بلاد المخزن/بلاد السيبة،...إلخ.

وغيرهم.

ومن المستشرقين: أمثال المستشرق المتخرج في القانون: غودفروى دومومبين (Gaudefroy-Demombynes) الذي كان يقول:

{تتلخص السياسة البربرية في العزل الاصطناعي للساكنة البربرية عن الساكنة العربية، مع بذل أوسع الجهد في تقريبهم منا على صعيد الأعراف}[26]،

والجواسيس الملحقين بالقصر السلطاني من أمثال:

أ) الطبيب الدكتور فرديناند لينارس (Dr. Ferdinand Linarès) الذي اشتغل لمدة مع السلطان الحسن الأول (1873 - 1894) ،

---

1) Manuel Algérien, chrestomathie et lexique. Paris, Maisonneuve & Ch. Leclerc éditeurs, 1888.,
2) Légendes et contes merveilleux de la Kabylie (1893),
3) Les fourberies de Si Djeh'a. Contes kabyles, Paris, Ernest Leroux editeur, 1892., 190 pp.
4) Les béni-Isguen (Mzab), essai sur leur dialecte, Oran, Fouque, 1895,
5) Le Maroc inconnu étude géographique et sociologique- Paris : J. André, 1895, et Paris, A. Challamel 1899, 813 pp.
   a.) Première partie. Exploration du Rif (Maroc septentrional) ,
   b.) Deuxième partie. Exploration des Djebala (Maroc septentrional)

[25] له من المؤلفات والمقالات:

1) Les confréries religieuses au Maroc (1927),
2) L'organisation des finances au Maroc, Archives marocaines, t. XI (1907).
3) Les musulmans d'Algérie au Maroc, Archives marocaines, t. XI (1907).
4) Description de la ville de Fès, Archives marocaines, t. XI (1907).
5) Description de Marrakech. par El Hassan ben Mohammed El R'assâl, trad., Archives marocaines, t. XV (1909)

[26] أنظر: كتابه: "المهمة الفرنسية فيما يخص التعليم بالمغرب" ص. 120. أو قوله ص. 119: {إن الفرنسية وليس البربرية هي التي يجب أن تحل محل العربية كلغة مشتركة وكلغة حضارة}:
Demombynes, G., 1928: "L'Oevre française en matière d'enseignement au Maroc", p. 119-120.

ب) والدكتور فيليكس ويزجبربر (*Dr. Felix Weisgerber*) الذي دخل الخدمة مع المخزن العزيزي في شهر ديسمبر سنة 1897، زيادة على البعثة العسكرية الفرنسية التي رأسها وإلى حدود سنة 1901،

ت) الماجور بوركهارد (*Major Burckhard*)، وليخلفه العقيد:
ث) سان جوليان (*Lieutenant Colonel Saint-Julien*).

وقد قابل البريطانيون هذه المهمات من جانبهم بجواسيسهم الخاصين أمثال:

أ) آرثر نيكولسون (*Arthur Nicolson*) ممثلهم في مدينة طنجة،
ب) والقائد هاري ماكلين (*Sir Harry Aubrey de Vere Maclean (Kaïd)*) (*1848* - *1920*) مدرب القوات المخزنية.

في مهمتين لا ثالث لهما:

1) محو هوية المغاربة التاريخية والدينية وإعادة تشكيل ذاكرتهم، بما تفننت فيه الثورة الفرنسية ضمن برنامجها البذري الأورويلي[27]،

2) اعتبار الشمال الإفريقي أرض خلاء، قابلة للغزو والإلحاق[28]، إما كإعادة إخراج للتجربة الأمريكية مع الهنود الحمر، {الصورة الملحقة هي لشارع القطار بمدينة الدار البيضاء سنة 1928، لاحظ المحو الممنهج للهوية الوطنية المغربية، والفرنسة المطلقة في الإعلانات والبناء، اللذان يذكران بالهندسة المعمارية الأمريكية أيام رعاة البقر، ولاحظ، وكما في تلك البلاد، توسط مقهى كبير للشارع يحمل عنوان: "ملك الجعة" (Le Roi de La Bière). كل هذا وسط بلد مسلم!

} استثارة للتجربة الرومانية القديمة مع الشمال الإفريقيين، بغية ربطهم لغوياً وثقافياً وإيديولوجياً بفرنسا، وريثة روما الحضارية! (وليس إيطاليا!)، على ما جرى به تمثل "الحضارة" في المخيال

---

[27] نسبة إلى الكاتب والجايوس البريطاني جورج أورويل (George Orwell) في كتابيه في هندسة المجتمعات "مزرعة الحيوان" (Animal Farm). و"1984" (Nineteen Eighty-four). وانظر تفصيلا وتحليلا لهذا المنطلق الفكراني الفرنسي وبعض تطبيقاته على صعيد الثقافة في كتابنا: "كيف تمت هندسة فيروس اسمه أدونيس"، طبعة سنة 1419 هـ/ 1999 م، بمطابع بروداز، ص. 16.

[28] أنظر كتابنا: "الأقليات الإسلامية في الغرب: الجذور التاريخية، الوضع الحاضر، التطلعات المستقبلية".

الاستعماري الصليبي الفرنسي، واستكناه القادة السياسيين الفرنسيين لدور فرنسا في الخارج كاستعمار محض، في منافسة شرسة على المستعمرات، مع باقي الدول الأوروبية الأخرى!.[29]

قلت:

وليس من السهل، إيجاد تفسير موضوعي لهذا القاسم المشترك، الذي شكل النواة الصلبة للذهنية العدوانية التي تحكمت في سلوك الكثير من رجالات الدولة الفرنسيين وقوادهم العسكريين الميدانيين، الذين لا يكاد يجمع بينهم جامع، اللهم ما كان من اتفاقهم وإطباقهم جميعاً على انتهاج مثل هذه السياسات الاستعمارية الفجة حيال الآخرين، سواء أكانوا ضمن الجوار القريب لفرنسا، على ما جربت كل من إيطاليا وإسبانيا وغيرهما من دول أوروبا إبان حكم العائلة الأوليجارشية النابليونية التي تحكمت في مصائر شعوبهم في القرن التاسع عشر باسم مبادئ الثورة الخادعة!، التي لم يروا فيها سوى القهر والإذلال والاستعمار السمج المحض!، أو في الشرق القريب أو البعيد[30].

وهو إرهاص صليبي عدواني قديم، يرجع بجذوره إلى حملات ملك فرنسا "القديس!" سان لوي (هو الملك الفرنسي لوي التاسع) (*Louis IX de France; Saint Louis*) (1214 - 1270 م)

، الصليبية في الشرق بشعار ثالوث : الله - الإبن - روح القدس"!، الذي كرسه في حملتين صليبيتين شهيرتين على كل من مصر في الحملة الصليبية السادسة (1248 – 1250 م)، حيث سيفشل ويأسره المماليك بمدينة دمياط المصرية ويضطر إلى افتداء نفسه ومن معه بفدية باهضة سنة 1249 م، إلا ليعاوده هوسه الفصامي ويجدد الكرة على تونس بعد عقدين فقط، في الحملة الصليبية السابعة، أيام حكم المستنصر الحفصي (647 هـ/1249 م – 678 هـ/1279 م) ليهلك بوباء الطاعون أمام أسوار قرطاجة في 25 من شهر أغسطس من سنة 1270 م، ويحصل بذلك على شهادة "القداسة" الكنسية بمثل هذا التاريخ الملطخ بالدم!.

---

[29] *وذلك بانتحال شعارات طنانة ورنانة للتستر على هذا النزع الاستعماري البنيوي، الذي قلما تغيرت ملامحه ومعالمه العامة في التطبيق على الأرض، بالرغم من إبدال كل مفردات قاموسها الديني القروسطي القديم، بقاموس حداثي ثوري نقيض!.*

[30] *وسوف يعيد هؤلاء المستعمرون وهؤلاء المستعمَرين بدورهم وبدون استثناء، نفس السياسة الكسيحة في الشمال الإفريقي وإثيوبيا!.*

قلت:

وهو ذات الدور، الذي سيكرر تمثيله مرة أخرى الإمبراطور **نابليون بونبارت**، بشعار ثالوثي آخر: "**الحرية! - الإخاء - المساواة**"، الذي لا يقل شركية عن الشعار الثالوثي الكنسي الأول، فيما يخص تطبيقاته الفجة على الأرض وعلى الآخرين المخالفين!.

وهو الشعار الذي استحدثه الثورة البورجوازية الفرنسية، بعنف المقصلة والإرهاب الثوري ضداً على منافسيها من نبلاء الفروسية والإقطاع ورجالات الدين الكاثوليكيين، وأراده أصحابه ناسخاً لشعار **القديس سان لوي** وما حمل!، إلا ليغلب الطبع على التطبع!، ويقتفي **نابليون** خطى **القديس لوي** حذو القذة بالقذة، مقترفاً لذات الجرائم الوحشية البشعة في حق الشعوب والإنسانية، وفي مخالفة صريحة للمبدأ الأول لحقوق الإنسان الذي سنوه لأنفسهم وأعلنته ثورتهم سنة 1789 وصادقوا عليه في 26 أغسطس من نفس السنة والقائل بأن:

الناس قد خلقوا وسيظلون أحراراً ومتساوين في الحقوق. ولا يمكن تأسيس الفوارق الاجتماعية سوى على النفع المشترك.

إلا ليدوسوه دائماً بأقدامهم، ولتؤاخذهم عليه كل الشعوب المسالمة التي تعرضت للعدوان الاستعماري الفرنسي المتعجرف!.

فماذا عنت مفردات: "**الحقوق**"، و"**الحرية**"، و"**الناس**" في سياق هذا المبدأ وقاموس الثوار!؟

بكل تأكيد، ليست هي عينها ما يفهم **المسلم** في **شريعته الكونية** الملزمة له أخلاقياً تجاه كل البشر!.

لكن، من خلال الممارسات الفجة لكل الحكام الفرنسيين وجنـــودهم الثـــوريين وغيـــر الثوريين، الذين تعاقبوا على سدة الحكم في فرنسا، وبـــدون اســـتثناء، نفهـــم أنهـــم قـــسراً: "البورجوازية الفرنسية"، لا غير!.

الشاهد عندي، أنه صدر في 17 فبراير 1864 بيان وقعه ستون من العمال الفرنسيين ونشروه باسم: "بيان الستين" في جريدة "الرأي الوطني" (*L'Opinion Nationale*) جاء فيه:

{لقد كرروا على أسماعنا وإلى درجة الملل: بأنه لا وجود للطبقات منذ أن صار كل الفرنسيين متساوين!. لكن، نحن الذين لا نملك سوى سواعدنا (...)، نحن الذين نعيش تحت قوانين استثنائية، كالقانون التكتل والبند 1781.(...)، نحن الذين لا نملك دائماً وسيلة لتعلم القراءة (...)، نحن الذين يقضي غالبا أطفالنا بواكير سنواتهم في الوسط المثبط الوموبوء للمصانع (...)، نحن الذين تهجر نساؤهم بسهولة البيت من أجل شغل مضن، مخالف لطبيعتهن ومحطم للأسرة، نحن الذين لا نملك الحق لنتفاهم بيننا من أجل الدفاع السلمي على أجرنا، حتى نستطيع تأمين أنفسنا ضد البطالة. فإننا نؤكد بأن المساواة المسطرة في القانون ليست من الأعراف وبأنها لا زالت بحاجة إلى تحقيقها في الواقع..}.

قلت:

فهذه حكومات بورجوازية لا تمثل كل طبقات الشعب الفرنسي كما يتضح.

لكن، مع كل الأسف، فهي صانعة التاريخ وليس هؤلاء البؤساء الذين تقترف كل جرائمها باسمهم!.

وسيحصل الثوري! نابليون نفسه على وسم القداسة!!! من الكنيسة البابوية، ما حـــصل عليها سان لوي!!!، بالرغم من تمريغه لسمعة البابوية في الوحل طيلة فترة حكمه![31]. فالرجوع إلى الأصل أصل كما يقول المثل!.

لذلك لن نعجب أن نرى حكام فرنسا يعيدون وللمرة الرابعة على التوالي منـــذ تكونـــت فرنسا كدولة، انتهاج ذات السياسات الدموية في الشمال الإفريقـــي إبـــان عهـــد الجمهوريـــات

[31] أنظر كتابنا: "الأقليات الإسلامية في الغرب: الجذور التاريخية، الوضع الحاضر، التطلعات المستقبلية".

الفرنسية الثانية، والثالثة، والرابعة، والخامسة المتعاقبة[32]، يوم أعلنت الثانية منها، إلحاق القطر الجزائري برمته أرضاً وعباداً! بفرنسا كجزء لا يتجزأ منها! ضد على أهل البلد المعنيين، وحقوق الإنسان سنة 1848، أي بعد أربع سنوات فقط من واقعة إيسلي على الحدود المغربية الجزائرية، بعد أن أمنوا الجانب المغربي.

قلت:

هذا في الوقت الذي كانت فيه فرنسا تغلي بالمطالب الشعبية والشيوعية!.

فقد قدم كارل ماركس (1818 – 1883) **إلى باريز سنة 1844 ووضع الأسس الرئيسة لمذهبه. وسيعكف بقرار من مؤتمر عصبة الشيوعيين (*Le Congrès de la Ligue des Communistes*) الذي انعقد بمدينة لندن سنة 1847 مع فريدريك أنجلز (1820 – 1895م)** **في كتابة "نداء إلى العمال" الذي سيعرف ب "بيان الحزب الشيوعي" (*Le Manifeste du Parti Communiste*) أياماً معدودة فقط قبل حصول ثورة 22-24 فبراير الشيوعية سنة 1848، والتي ستفشل بدورها ويتولى لوي نابليون بونبارت الثالث (*Charles Louis Napoléon Bonaparte*) (1808 – 1873)** **السلطة في 10 ديسمبر من نفس السنة ويبقى فيها إلى سنة 1870.**

---

[32] وهي الفترة الممتدة من سنة 1830 سنة احتلال الفرنسيين للجزائر إلى خروجهم منها سنة 1962 واحتلالهم لتونس سنة 1881 والمغرب سنة 1912 وخرجهم منهما سنة 1956.

قلت:

وقد قام السفير المغربي: ادريس بن محمد بن ادريس العمراوي (ت: 1296 هـ/1878 م) بسفارته الشهيرة إلى نابليون الثالث هذا مبتعثاً في صيف سنة 1860 م من طرف السلطان عبد الرحمن بن هشام ()1204 هـ /1790 م – 1276هـ/1859 م) **، إثر حادثة احتلال الإسبان لمدينة تطوان مع بداية السنة والتزام المغرب طبقاً لأوفاق الهدنة المبرمة بين الجانبين في شهر ماي، لدفع تعويضات حرب بلغت 150 مليون فرنك فرنسي.**

وهي السفارة التي سجل وقائعها في كتابه: "تحفة الملك العزيز بمملكة باريز".

ولا جدال، أن بعض الممارسات الاستعمارية الفرنسية سواء في فلسطين، أو سوريا، أو مصر، أو الجزائر ثم المغرب، تدخل ضمن الممارسات الموصوفة بالإجرام ضد الإنسانية بدون أدنى ريبة أو شك[33]، رغم الشعارات الفضفاضة المعلنة، التي لا تتفق في شيء مع هذه الممارسات الفجة النقيضية!.

انتهى ويليه:

مختبر الجزائر في التفكيك الهوياتي لشعب

[33] *أنظر كتابنا: "الأقليات الإسلامية في الغرب: الجذور التاريخية، الوضع الحاضر، التطلعات المستقبلية".*